قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال بعض العلما هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل ان يقدر على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتاويل الاية البتة فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله من النصر واعلا الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله واوليائه ومهلك اعدائه وفيه تقديم وتاخير تقديره فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز اي غالب ذو انتقام يعني من اعدائه قوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين احدهما انه تبدل صفة الارض والسما لا ذاتهما فاما تبديل الارض فتتغير صفتها وهيئتها مع بقا ذاتها وهو ان تدكدك جبالها وتستوي وهادها واوديتها وتذهب اشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شي الا ذهب وتمد مد الاديم واما تبديل السما فهو ان تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها ويكوران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلما ويدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس بها علم لاحد اخرجاه في الصحيحين العفرا بالعين المهملة هي بيضا الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الابيض الفائق المائل الى حمرة كان النار مالت بياض وجهه الى حمرة وقوله ليس بها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لتبديل هيائتها وزوال جبالها وجميع نباتها ولم يبق فيها اثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسما وهذا قول جماعة من العلما ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الاية قال تبدل الارض بارض كالفضة البيضا نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل بها خطيئة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الارض من فضة والسما من ذهب وقال ابي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسما جنانا وقال ابو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضا ياكل المومن من تحت قدميه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض خبزة واحدة يوم القيمة يتكفاها الجبار بيده كما يتكفا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة اخرجه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محي الدين النووي في شرح هذا الحديث اما النزل فبضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله واما الخبزة فبضم الخا وقال اهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة ويتكفاها بالتخفيف اي يميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد دفعنا الكلام في اليد في حق الله تعالى وتاويلها مع القطع باستحالة الجارحة ليس كمثله شي ومعنى الحديث ان الله تعالى يجعل الارض كالظلمة او الرغيف العظيم يكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شي قدير **فان قلت** اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهو ان تحدث بكل ما عمل عليها **قلت** وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل الارض ولا صفتها مع بقا ذاتها كما تقدم فتحدث اخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن عايشة قالت سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين تكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط اخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثاني مرة يكون بعد الحساب والله اعلم بمراده وقوله تعالى وبرزوا

يعني

يعني وخرجوا من قبورهم لله يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب الواحد القهار معناه ان الله تعالى هو الواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند القهار الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشا ويحكم ما يريد قوله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشي بالشي شددته معه برباط واحد في الاصفاد يعني في القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وقال ابو زيد ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود قال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض سرابيلهم يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كلما لبس من قطران القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهنا يقال هنات البعير اهنوه بالهنا وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو اراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم ما يعرفون وقرا عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين فالقطر النحاس المذاب وآن الذي انتهى حره وتغشى وجوههم النار يعني تعلوها وتجللها ليجزي الله كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر ان الله سريع الحساب يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة هذا بلاغ للناس يعني هذا القران فيه تبليغ وموعظة للناس ولينذروا به يعني وليخوفوا بالقران ومواعظه وزواجره وليعلموا انما هو اله واحد يعني وليستدلوا بهذه الايات على وحدانية الله تعالى وليذكر اولوا الالباب يعني وليتعظ بهذا القران وما فيه من المواعظ اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحجر

مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون اية وستماية واربع وخمسون كلمة والفان وسبعماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك آيات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والمراد بالكتاب وبالقران المبين الكتاب الذي وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القران للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك ايات تلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرانا واي قران كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القران على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوي لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما والمراد بالكتاب القران وانما جمع له بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما في ذلك الكتاب من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل ربما قري بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شي فيكون المعنى رب يود الذين كفروا وقيل ما في ربما بمعنى حين اي رب حين يود يعني يتمنى الذين كفروا والا التمني هو تشهي حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين على قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب ووقت الموت فحينئذ يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك عند لا ينفعه التمني قال الضحاك وهو عند حالة المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الاخرة وذلك حين يعاينون اهوال يوم القيامة وشدايده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الزجاج ان الكافر كلما راى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل اذا راى الكافر ان الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ

Copyright © King Saud University